القيم والشيم

لقد خلق الله خلقه وأمرهم بعبادته، وأرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين، فآمن من آمن فنجا، وكفر من كفر فهلك، وأرسل نبينا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ليقيم دينه، ويرد الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولأن دين الإسلام الذي جاء به صلى الله عليه وسلم دين عدل وإنصاف، فقد بُعث صلى الله عليه وسلم وفي أهل الجاهلية من الصفات والأخلاق والقيم والشيم ما يستحق أن يُقر فأقره، وما يستحق أن يُهذب فهذبه، وما يستحق أن يمنع فمنعه.

ومن أمثلة القيم التي جاءت الشريعة مُقرة لها قيمة الكرم والجود، وهي من أخلاق أهل الجاهلية حتى اشتهر فيهم الكرماء الذين لا تخلو دارهم، ولا تخبو نارهم. وجاء الإسلام ليُقِر هذه القيمة العظيمة حتى كان من الإيمان بالله واليوم الآخر أن يكرم المسلم ضيفه كما في الصحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»

ومن قيم الجاهلية وشيمها التي أقرها الإسلام قيمة الشجاعة والإقدام، وقد اشتهر العرب خاصة بهذا الخلق النبيل حتى قال شاعرهم:

أشد على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

وجاء الإسلام ليحث على الشجاعة ويربي الجيل المسلم عليها وينهاه عن الجبن والخوف والإحجام، وقد ورد في الصحيح من حديث عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ الأَوْدِيَّ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلاَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ"

ومن قيم وشيم الجاهلية التي أقرها وهذبها الإسلام الغيرة على المحارم، حتى بلغوا في غَيرتهم مبلغ الغلو المفرط الذي جاء الإسلام بتهذيبه وتنقيته وتصفيته، ويروى في غيرتهم أن أحدهم كان لا يبيع دابته إذا ركبت عليها امرأته؛ غيرةً أن يركب بعدها الرجال، وقد ورد في الصحيح من حديث المغِيرَةِ، قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي».

وهي من القيم التي قلت عند بعض الناس اليوم حتى إنه ليرى محارمه يمشين في الأسواق والمنتزهات بحجاب فاضح أو بغير حجاب، قد حسرن عن بعض رؤوسهن، ولبسن الكمامات بدلاً من غطاء الوجه السابغ، وكشفن عن بعض سوقهن، فلا يتحرك فيه شعرة والله المستعان.

وهذه قيمة من القيم العظيمة وشيمة من الشيم النادرة التي ترتقي بالمؤمن إلى محارم الله عامة فيغار عليها أن تنتهك، وإلى محارم المسلمين كافة فيغار عليها إذا خالفت شرع الله، أو أوذيت من الفساق والفجار والمنافقين، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ».

ومن القيم والشيم التي جاء الإسلام مقراً ومدعّماً ومحفزاً لما كان عليه أهل الجاهلية فيها: قيمة العفاف والطهر، فيبلغ بالرجل منهم العفاف حتى يغض طرفه عن أن ينظر إلى حرمة جاره، فضلاً عن أن ينتهكها بفجور أو فسق حتى قال شاعرهم:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

إني امرؤٌ سمح الخليقة ماجدٌ لا أتبع النفس اللجوج هواها

وتَعُفُّ الحرة نفسها فلا تقع في فجور ولا فسق؛ حفاظاً على قيمة الطهر والعفة.

ولمّا أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ألا يسرقن ولا يزنين قالت هند بن عتبة رضي الله عنها ولم تنته بعد من البيعة: أَوَ تزني الحرة يا رسول الله؛ استنكاراً منها لأمر لم يعهده الأحرار حينئذ لاشتهارهن بالطهر والعفاف.

وجاء الإسلام ليضع العفة والطهر وغض البصر عن المحارم من أجلِّ القيم وأعظم الشيم حفاظاً على الأسرة والمجتمع والأمة بأكملها من أن تقع في مستنقع الرذيلة، وأنزل الله سورة النور لتبين المستوى العالي من ضياء الطهر ونوره، وظلمة الرذيلة والمجون والفسق، ومن أعظم آيات الطهر فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾.

ومن أجلِ العفة والطهر شرع الله الحجاب حماية لجدار العفة أن يهدم وستارها أن تتناوله أيدي الفساق والمنافقين ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

بارك الله لي ولكم....

** ** **

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة، والسلام على رسول الله.

ثم أما بعد:

عباد الله: هذه أمثلة على القيم والشيم التي أقرها الإسلام وهذبها وهي من أمر الجاهلية، وقد جاء الإسلام ليشرع لأهله قيماً وشيماً تميزهم عن غيرهم وتنزلهم أعلى القمم متى ما كانوا أشد تمسكاً بها، وأكثر حفاظاً عليه.

ومن أعظم هذه القيم والشيم الانتماء للإسلام وأهله، وتعظيم هذه الرابطة رابطة الأخوة في الله والحب في الله والبغض فيه، والولاء لأجله والعداء من أجله، ففي الوقت الذي كانت القبائل تتعادى على مجرد الحسب والنسب أو المصالح الدنيوية البحتة، وتفتخر كل قبيلة بحروبها وظلمها لأعدائها، وسطوتها على أملاكهم ومقدراتهم؛ جاء الإسلام ليجعل الانتماء

لله ولرسوله وللمؤمنين، وليجعل العدل والإنصاف سيد الموقف، وليجعل الناس سواسية لا فرق لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وفي سنن أبي داود بسند حسن عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ».

ومن الشيم والقيم التي جاء بها الإسلام قيمة الاستجابة لله وأمره، فلا شرع لغيره ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فقد وحَّدَت هذه القيمة العظيمة مصدر الأمر والنهي، وربطت الكل بأمر الله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾.

وتحت هذه القيمة شرع الإسلام طاعة ولاة الأمور فيما يأمرون به من أمر الله ورسوله، وبدلاً من رد أهل الجاهلية نزاعاتهم إلى القبائل والأعراف والعادات، فقد ردت الشريعة أي نزاع إلى أمر الله وأمر رسوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

ومن الشيم والقيم التي جاء بها الإسلام وحث عليها: قيمة الثبات، فهي قيمة تحث المؤمن المستجيب لأوامر الله، والمتحلي بالأخلاق والقيم أن يثبت مهما اشتدت عليه رياح التغيير أو أغرته الشبهات والشهوات وتزينت لها الدنيا، ورأى تساقط الأفراد والجماعات، وتقف به موقف الجبل الشامخ والطود المنيع بإيمانه وصلاحه وأخلاقه ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

إنه وإن كان وصل إلى القمم في أخلاقه وصفاته وقيمه، فإنه في حاجة ماسة إلى الثبات عليها، ولن يصل إلى ذلك إلى بتثبيت الله له ورحمته ثم بدعائه وانكساره ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. أنك أنت سبحانك كما وهبتنا هذه الشريعة الغراء التي حوت كل هذه القيم والشيم، قادر وحدك على أن تهبنا الثبات عليها.

ومن معاني الثبات على القيم أن نحاول جاهدين أفراداً ومجتمعاً أن نواكب كل ما فيه صلاح العباد والبلاد من تطورات ومشاريع تنموية واقتصادية وسياحية، نواكبها بهذه القيم والشيم مستصحبين لها، وثابتين عليها، وداعين إليها، وصابرين على ما يصيبنا جرّاء هذا الثبات وهذه الدعوة، وأن نكون عناصر صالحة في وطننا ولَبِناتِ بناء لهذه القيم في كل مكان.

عباد الله: إن من علامات التقهقر والفشل والهزيمة أن نسعى إلى تنميةٍ وتطورٍ عارٍ عن القيم والشيم، متلبس بلباسٍ غير لباسنا في الوقت الذي يدعو فيه ولاة أمرنا وفقهم الله إلى المحافظة على الإسلام وشيمه، مع الحرص على مشاريع التطور والازدهار.

عباد الله: كل منا على ثغر، فمنا المسؤول، ومنا المعلم، ومن الأب والأخ، فلنسعى جاهدين في المحافظة على هذه القيم واستخراجها من الكتاب والسنة، ونشرها في المجتمع، وبث روح التفاؤل للجيل: أن المستقبل لمن تمسك بهذه القيم، وأننا قادرون على مواكبة التطور والتنمية بكامل قيمنا وأخلاقنا وهويتنا المستمدة من الكتاب والسنة؛ فإنه لا عز لأمة تركت أخلاقها وقيمها ونزعت هُويتها لتتلبس بهوية غيرها وقيمه.

كما أننا نشكر كل مسؤول وعلى رأسهم ولاة أمرنا وفقهم الله لما يحب ويرضى، وعلى حفاظهم الدائم على هذه القيم ودفاعهم عنها، ونهيب بكل فرد من أفراد المجتمع أن يكون لبنة صالحة وجندياً على ثغور القيم والشيم مدافعاً وداعياً، صابراً ومحتسباً ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.